بعض القضايا الأيديولوجية

فى بعض الأحيان، يصبح الموقف الأيديولوجى عنصرا حاسما فى تكوين الصورة العامة لأى حزب سياسى.

وثمة قضايا فكرية - معينة - تكتسب أهمية خاصة بحيث يصبح الموقف تجاهها العامل الفعال فى تحديد مستقبل الحزب والحكم عليه.

ولقد تنطفئ الكثير من البطولات والتضحيات والنجاحات الباهرة. أمام وهج موقف أيديولوجى خاطئ.

وفى تاريخ - الرفاق المصريين - عدد من المواقف الأيديولوجية الفاصلة، لعلها حددت إلى درجة كبيرة مسار انطلاقهم العام، بل لعلها تركت بصماتها على جميع التقييمات التى قدمت حول دورهم.

ولعله من حقنا، ومن حق هذه الكوادر، أن نلقى بعض الضوء على عدد من المواقف الأيديولوجية المهمة.

ذلك أن بعضها رغم أهميته القصوى - غير معروف - بل وربما تداول الكتاب أشياء توحى بنقيضه مثل موقف الحزب من الصهيونية وقضية فلسطين. وبعضها الآخر يتطلب

النظر إليه فى إطار التأثر بالموقف العام للحركة الشيوعية العالمية التى كانت تمارس فى ذلك الحين تأثيرا حاسما وقاطعا على الأحزاب فى مختلف بلدان العالم. وفى إطار الفكر الماركسى العالمى الذى سادت فيه الاتجاهات الستالينية بصورة لا تقبل المعارضة ولا الانتقاد.. مثل الموقف من البرجوازية الوطنية فى المستعمرات والبلدان التابعة.

* * *

ولنبدأ بموقف حقق فيه - الرفاق المصريون - نجاحا حقيقيا وفهما صحيحا لأوضاع الأمة العربية واستبصارا ذكيا بقضايا مستقبلها وهو الموقف من الحركة الصهيونية.

فالحزب الذى حورب دوما بتهمة أن لليهود نفوذا كبيرا وسط صفوفه وأن للأجانب اليد الطولى فى أعماله، هذا الحزب كان أول الأحزاب المصرية التى أدركت خطر الصهيونية وأعلنت عليها حربا لا هوادة فيها.

وفى الوقت الذى كانت فيه صحف الأحزاب البرجوازية المصرية تنشر المقالات عن النشاط «الخيرى» للحركة الصهيونية وعن أعمالها المجيدة لتعمير فلسطين كانت جريدة «الحساب» تتصدى - وربما على انفراد - لكشف الصهيونية وإدانة مطامعها فى فلسطين ولفضحها كحليف للاستعمار.

وتحت عنوان «بلفور يزور ضحيته. وفلسطين تقابله بالإضراب العام» كتبت «الحساب» تقول: «احتفل الصهيونيون فى فلسطين بتأسيس رجالهم وجميع الذين يعطفون على قضيتهم ويساعدونهم فى عملهم الاستعمارى وكان فى مقدمة المدعوين اللورد بلفور صاحب التصريح المشهور الذى أصدره باسم الحكومة الإنجليزية.. والذى بموجبه أعطت إنجلترا فلسطين لليهود الصهيونيين رغم إرادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون.

وقد لبى بلفور الدعوة فقابله السكان فى كل مكان حل فيه بجميع الوسائل التى تعبر عن سخطهم وغضبهم واشمئزازهم من زيارته التى تشبه زيارة القاتل لآل القتيل، والمعتدى لضحيته.

فقد أعلن أهل فلسطين الإضراب العام بمناسبة وصول بلفور إلى بلادهم فأغلقت المتاجر والمصانع. والورش وحوانيت البقالة ووقفت السيارات وعربات الركوب وعربات النقل، وامتنع التلامذة عن حضور دروسهم والذهاب إلى مدارسهم.. ووضع أهل فلسطين شارات الحداد على دورهم ومتاجرهم».

«ولم يكن سخط الطبقة العاملة من إليهود على بلفور بأقل من سخط الفلسطينيين أنفسهم فقد شاركوا الأهالى بالإضراب وأرسلوا برقيات الاحتجاج، وأظهروا بكل الوسائل نفورهم من صاحب ذلك الوعد الاستعمارى الذى يكرهه كل عامل لا فرق فى المذهب والعنصر والدين..».

«وقد عرف أهل فلسطين الكرام أن ليس كل يهودى صهيونيا، وأن الصهيونية نوع خطر من الاستعمار يكرهه العامل اليهودى مثل ما يكرهه العامل الفلسطينى تماما، لأن العامل هو عامل قبل كل شىء وهو ضد الاستعمار ولو كان المستعمر أخاه كما قلنا.

وإنَّا نحيى هذه النهضة البديعة فى فلسطين، ونأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم فى سبيل استقلالهم بلادهم، وهم كمظلومين مرهقين عليهم أن يضعوا أيديهم فى أيدى كل طبقة من طبقات العمال فى أى بلد من البلدان فالطبقة العاملة مظلومة فى كل مكان، وكل مظلوم للمظلوم نسيب»[1].

ولعل المشكلة الأيديولوجية الكبرى التى واجهت الرفاق المصريين فى ذلك الحين كانت تحديد الموقف من البرجوازية المتوسطة والصغيرة فى بلد كمصر، وطبيعة العلاقة مع كل منهما.

وبغير ما شك فإن كلمات ستالين كانت تمثل فى فترة كهذه بالنسبة لجميع الأحزاب بغير استثناء نقطة الانطلاق الأساسية فى أى عمل أيديولوجى فماذا قال ستالين..؟

فى عام ١٩٢٥ تحدث ستالين طويلا عن قضية المستعمرات قائلا: إنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام مؤكدا ضرورة معاملة كل قسم منها بأسلوب مختلف، وفى بلد كمصر والصين (مستعمرات الدرجة الثانية) «فإنه يتعين على الشيوعيين السعى لتأسيس كتلة ثورية (لاحظ الفرق الكبير بين الكتلة الثورية والجبهة الوطنية) من العمال والبرجوازية الصغيرة (يقصد بالبرجوازية الصغيرة الفلاحين أساسا)»[2].

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، إذ سرعان ما وقع الصراع الدامى فى الصين والذى تميز - إلى حد كبير - بطابع الغدر والخيانة من جانب البرجوازية الصينية ممثلة فى الكومنتانج.

وهكذا كان الموقف الجديد الذى تبناه مؤتمر الكومنترن السادس (١٩٢٨) والذى يعلن أن البرجوازية الصينية قد انتقلت وبصورة نهائية إلى معسكر الثورة المعادية وبصورة

تلقائية ارتبط تحليل الموقف فى مصر بالموقف فى الصين. وعوملت البرجوازية المصرية تماما مثل البرجوازية فى الهند والصين باعتبارها مستعمرات من الدرجة الثانية وهى المستعمرات التى طالب ستالين شيوعييها بأن يركزوا جهودهم لشن حرب لا هوادة فيها ضد البرجوازية[٣].

وهكذا فإنه وفقا لوجهة نظر ستالين والمؤتمر السادس للكومنترن فقد كان يتحتم على الحزب الشيوعى «أن يركز جهوده لشن حرب لا هوادة فيها» ضد حزب الوفد.

والحقيقة أن الحزب الشيوعى المصرى قد رفض ذلك وحاول قدر ما تسمح به طاقته وما يسمح به ثقله أن يقاوم هذا الاتجاه وأعلن من على منصة المؤتمر «عن اعتقاده أن البرجوازية الوطنية فى مصر لم تنتقل نهائيا إلى المعسكر العادى للثورة كما فعل الكومنتانج»[٤].

والحقيقة أن الحزب المصرى لم يستطع أن يرسل مندوبا لحضور مؤتمر الكومنترن السادس ولم يظهر فى وثائق المؤتمر اسم مندوب مصرى، لكنه يبدو أن الذى مثّل وجهة النظر المصرية هو «حيدر» مندوب فلسطين ومن الواضح أن العلاقات بين الحزب المصرى والحزب الفلسطينى – السورى كانت وثيقة للغاية فى هذه الفقرة.

وعلى أية حال فإن «حيدر» هو الذى تحدث حول مصر، وحول هذه القضية بالذات: قضية الموقف من البرجوازية الوطنية ومن حزب الوفد بالتحديد.. فماذا قال حيدر..

لقد بدأ حيدر تعليقه حول قضية الحركة الثورية فى المستعمرات بتوجيه انتقاد أساسى فقال: «أيها الرفاق: إن القضية العربية، والشرق العربى كله غائبان تماما عن هذه الجلسة، فقد تجاهلتهما التقارير المقدمة حول قضية المستعمرات».

ومضى حيدر ليتحدث عن أهمية القضية العربية وأعطى لمحة من ظروف المنطقة لكنه حاول أن يفند الفكرة التى سادت المؤتمر والتى سبق أن ذكرها ستالين ولم يجرؤ أحد على معارضته فيها وهى وضع مصر والصين فى مرتبة واحدة والنظر إليهما بمنظار واحد.

فقال حيدر: «إذا حاولنا المقارنة بين الحركة العمالية فى كل من مصر وسوريا وبين الصين لجابهتنا الحقائق التالية:

ففى الصين نشط العمال وتحركوا كطبقة مع مطلع الحركة الثورية (حملة الشمال، هيئة شنغهاى) وكانوا منظمين بالفعل فى نقابات ولهم حزب متواجد بالفعل فى قلب الأحداث،

بينما نرى العكس تماما فى بلدان الشرق العربى حيث نجد أن العمال قد دخلوا الميدان متأخرين إلى حد كبير. لقد كان العمال مجرد وقود للمدافع خلال الانتفاضات الثورية فى كل من مصر وسوريا، بينما اختفى دورهم كطبقة مستقلة، كقوة منظمة، ولقد بدأ الحزب الشيوعى المصرى نشاطه، ليس بتكوين جبهة عامة «كومنتانج» وليس بمساندة زغلول باشا وإنما على العكس من ذلك بالهجوم عليه».

وبعد أن قدم «حيدر» تحليلا تفصيليا لحزب الوفد ودوره وموقف الشيوعيين منه قال: «إن الإمبرياليين يريدون الإبقاء على حزب الوفد كقوة معارضة، كلجام يكبحون به جماح العناصر الإقطاعية، لكنهم من ناحية أخرى يريدون للوفد أن يبقى داخل إطار معين ويرقبون بحذر بالغ «نفوذه الثورى».

«والآن ما هو الموقف الذى يتعين علينا اتخاذه تجاه الوفد؟» هكذا يسأل حيدر ثم يمضى منتقدا موقف الكومنترن قائلا: «يتصور بعض الرفاق أن الدور الثورى لحزب الوفد قد انتهى تماما وأنه قد أصبح الآن قوة مناهضة للثورة، وأنه قد ربط نفسه بالقوى المناهضة للثورة، ولم يعد هناك ثمة مجال للحديث عن التحالف معه.

لكننى أيها الرفاق أعتقد أننا بمقاطعتنا للوفد سوف نقع فى النقيض الآخر وسوف نرتكب خطأ فادحا.

إننى أحدد واجباتنا فى مصر على النحو التالى: لا إعلان للتحالف مع حزب الوفد ولا إقامة لأية تنظيمات مشتركة معه، ولكن من الحتمى الاستمرار فى إقامة اتصال دائم مع الوفد، اتصالات مع قواعد الوفد للقيام بأعمال مشتركة محددة»[٥].

لكن الاتجاه السائد فى الكومنترن كان هو أن الوفد مثله مثل الكومنتانج قد خان الثورة الوطنية و«ألقى بأعلام الحرية فى الوحل» كما قال ستالين.

وهكذا وبرغم المعارضة فقد كان الرفاق المصريون مضطرين لمسايرة الاتجاه، وقد كان استمرار اتخاذ الوفد موقف المتخاذل والمتهادن خير مشجع لهم على ذلك.

إن تتبع المقالات والدراسات التى تناولت دور الوفد فى هذه الفترة توضح لنا ذلك الصراع الذى كان يعتمل بين قرار الكومنترن وبين رؤية الرفاق المصريين للواقع المصرى. لكن ذلك لا يعنى أن الرفاق المصريين قد تناسوا أخطاء الوفد بل لقد ضاعفوا من هجومهم عليه وانتقادهم له، لرفضه الاعتماد على الجماهير.

«إن الوفد فى صراعه ضد حكومة محمود كان يرفع شعارا سياسيا محددا هو عودة الدستور، لكن الوفد لم يكن يضع فى اعتباره قوى الجماهير المصرية ونضالها ضد الديكتاتورية الحالية وإنما كان يعلق كل آماله على انتصار حزب العمال فى إنجلترا. بيد أن حزب الوفد قد حاول أن يلعب على الخلافات فى وجهات النظر داخل الوزارة البريطانية»..

«إن سياسيى الوفد عندما يتحدثون عن الجماهير، فإنما يفعلون ذلك لمجرد تحقيق أهدافهم وبشرط أساسى وحاسم هو ألا تتمكن هذه الجماهير من ممارسة أى دور إيجابى للتأثير على أعمال الوفد.

إن رئيس الوفد النحاس باشا قد ركز فى خطابه الذى ألقاه بمناسبة مرورة عشرة أعوام على تأسيس حزب الوفد، ركز على إصرار الحزب على عدم فتح الباب أمام الصراع الطبقى الذى وصفه بأنه يقود الشعب إلى الهاوية والهلاك»[٦].

وتعليقا على الصراع الذى دار بين النحاس ومحمد محمود عقب الانقلاب الدستورى كتب أحد الرفاق المصريين مقالا بعنوان «بلا مخرج» جاء فيه: «بين رئيس الوزراء المصرى الحالى محمد محمود، ورئيس الوزراء السابق النحاس باشا (زعيم الوفد) توجد أزمة ذات طابع خاص. فمحمد محمود يقوم بجولات «مظفرة» فى أرجاء البلاد.. أما النحاس باشا الذى يحسد محمد محمود على هذا النجاح فقد أخذ يروج ويدعو لشعبيته الخاصة ولشعبية الوفد بين الجماهير..

إن هذه المسرحية ذات الخصائص الفريدة تجرى من أجل متفرج واحد هو المندوب السامى البريطانى اللورد لويد. فإن كلا من محمد محمود والنحاس باشا يحاول أن يقنع المندوب السامى البريطانى بأن حكم مصر ممكن بواسطته هو شخصيا».

ويمضى المقال مؤكدا: «لقد كانت إنجلترا بإهمالها لنداءات الجماهير العريضة فى مصر تعتمد أساسا على اعتقاد راسخ مؤداه أنه ما من جماعة من الجماعات السياسية المصرية تعارض معارضة حقيقية فى استمرار السيطرة البريطانية»[٧].

لكن هذا الهجوم ضد حزب الوفد لم يكن هجوما مطلقا، بل على العكس من ذلك، فقد كان الرفاق المصريون يشعرون دائما أنهم أقرب إلى حزب الوفد من حكومة الانقلاب الرجعى، بل لعلهم كانوا يشعرون - فى بعض الأحيان - أنهم أقرب إلى الوفد منهم إلى

الحزب الوطنى، رغم أن الحزب الوطنى كان وفقا لتحليلهم الطبقى حزب مثقفى البرجوازية الصغيرة الراديكاليين.

«أما حزب المثقفين الراديكاليين (الحزب الوطنى) فقد تبعثر تماما بعد الانقلاب وقد قبض على مجموعة من أعضائه، لكن الجزء الأكبر من المجموعة المحدودة التى استمرت فى النشاط لجأت إلى حزب الوفد.

إن هؤلاء المثقفين الراديكاليين لم يستطيعوا اللجوء إلى الجماهير الشعبية، ولم يستطيعوا الاتصال بها، بينما استطاع الوفد أن يتصل بالجماهير وأن يحرك مشاعرها ونشاطها السياسى»[٨].

وعندما ثارت قضية الأمير سيف الدين واستخدمت ضد الوفد بهدف إبعاده عن الحكم، كان الرفاق المصريون يعارضون حملة الحزب الوطنى على الوفد.

«لقد كان من الممكن بل من الواجب استخدام قضية الأمير سيف الدين كمادة لفضح الملك فؤاد كعميل للإنجليز. إن قادة الوفد (ومن بينهم النحاس باشا نفسه) دافعوا عن الأمير سيف الدين وأخذوا على عاتقهم هذه المهمة. أما قادة الحزب الوطنى فلأسباب مجهولة تماما عارضوا الوفد فى موقفه هذا. وفى البرلمان وقف زعيم الحزب الوطنى حافظ بك رمضان ليخطب قائلا: إن النحاس والمحامين الوفديين يقبضون أموالا طائلة ثمنا لتبنيهم قضية سيف الدين.

وقد أمكن «فبركة» حملة واسعة وسط الرأى العام بواسطة الصحافة المصرية والانجليزية المأجورة حول هذه القضية. وكانت النتيجة سقوط حكومة الوفد.

وبعد ذلك حل البرلمان، وألغى الدستور، ووصل إلى السلطة عملاء الرجعيين عملاء المندوب السامى البريطانى. أما الراديكاليون من أعضاء الحزب الوطنى فقد ساعدوا الرجعية فى معركتها ضد الوفد، وبعد أن تحقق النصر للرجعية ذهبوا جميعا إلى أوروبا للراحة!!

وهكذا أصبح الميدان خاليا تماما للرجعية، ثم أعد مشروع معاهدة عار وذل مع إنجلترا»[٩].

لكن هذا التعاطف المشوب بالحذر لم يرق أبدا إلى مرتبة الدعوة للتحالف أو التقارب أو حتى ما هو أقل من التحالف والتقارب.

فقد كان الرفاق المصريون لا يثقون مطلقا بالوفد، ولقد كان من حقهم ألا يثقوا فيه، فإن أعنف الضربات التى وجهت لهم وجهت فى عهد حكومة الوفد.

لكن ثمة موقف يستحق الانتباه، فلقد انتقد الرفاق الوفد مرات عديدة لأنه لم يلجأ للجماهير لكنهم انتقدوه أيضا بل واتهموه عندما حاول - بطريقته الخاصة طبعا - أن يحرك الجماهير..

«.. وفى مواجهة التحالف بين حزب الاتحاد (حزب كبار الملاك) وحزب الأحرار الدستوريين، كان الوفد يصر على تأكيد إخلاصه لأهداف الأمة، ولعل أكبر مثال على ذلك حملة التوقيعات التى نظمها الوفد والتى انهالت فيها آلاف التوقيعات من مختلف أنحاء مصر على الملك مطالبة بعودة الدستور والبرلمان.

وقد شكل الوفد «مجموعة» من أعضائه لتنظيم حملة جمع التوقيعات هذه وقد نجحت هذه المجموعة بالفعل فى تنظيم مسيرات ووفود يوم ١٥ مارس إلى القصر سار على رأسها نواب وشيوخ الوفد، وكانت المظاهرات الواسعة التى حشدها الوفد تهتف «يحيا الملك». غير أن هذا الهتاف لم يمنع بوليس الملك من أن يصطدم بهذه المظاهرات.

إن المرء عندما يقرأ عن مظاهرات القاهرة فى ١٥ مارس يتذكر على الفور المظاهرات الروسية التى حدثت فى ٨ يناير ١٩٠٥. وهنا لا بد وأن يذكر كلمات ماركس «إن التاريخ يعيد نفسه فى المرة الأولى كتراجيديا وفى المرة الثانية فارس»[١٠].

ولسنا نعتقد أن هذا التشبيه كان صحيحا.. فلا قادة الوفد كانوا مثل «القس جابون» الذى نظم مظاهرة ٩ يناير ١٩٠٥. والذى كان عميلا للأوخرانا (البوليس السرى القيصرى) والذى دبر المظاهرة بإيعاز منها كسبيل لتوجيه ضربة للحركة العمالية وإخمادها[١١] ولا مظاهراتهم كانت تدبيرا بوليسيا ضد مصلحة الجماهير.

لكن هذا التشبيه لم يكن مجرد موقف عابر ولا استعراض لمعلومات الكاتب، فقد تبلور فيما بعد فى موقف بالغ الخطورة عندما انفجرت الإضرابات العمالية فى هبّتين عنيفتين ضد حكومة الديكتاتورية وكتصعيد عمالى وثورى لنداءات الوفد المتسمة بالاعتدال، فإن الرفاق المصريين قد اتخذوا تجاه الانتفاضتين العماليتين الثوريتين موقفا سلبيا تماما بل وكما وصفه «أفيجدور» «موقف مشين للشرف الثورى».

«فالمنشور الوحيد الذى أصدره رفاقنا أيام الهبّة لم يدع الجماهير لمواصلة النضال وإنما دعاهم إلى الاستسلام (دعوا هؤلاء الوفديين يخطبون ويطنطنون ويتصارعون ويموتون فانهم يفعلون ذلك من أجل مصالحهم الخاصة)، **وهكذا لم يدرك الرفاق المصريون الأهمية الثورية القصوى لانتفاضة عشرات الالوف من العمال متبنين شعار الوفد الذى يدعو الجماهير للنضال من أجل الدستور.**

ولم يستطع الرفاق المصريون أن يحشدوا قواهم (حتى تلك القوى التى يمتلكونها بالفعل) فى مشاركة نشيطة فى الانتفاضة ومن أجل قيادة حركة الطبقة العاملة والفلاحين»[١٢].

وثمة مقال آخر يستحق الاهتمام كتبه ج. ب (جوزيف بيرجر) بعنوان «الموجة الجديدة من الانتفاضات فى مصر» يقول:

«ولكن ومهما كانت «الثورية» التى يتظاهر بها الوفد [كتب المقال أثناء معركة الوفد ضد قيام صدقى بإلغاء الدستور] فإنه يظل بعيدا عن تمثيل مصالح الجماهير، بل إن صحيفة مصرية قد شبهت مصطفى النحاس باشا بأنه «كيرنسكى».. إن الوفد ليس فى وضع يؤهله لحل المشكلات الاجتماعية للجماهير العريضة، إنهم يستغلون الجماهير، ثم يدعونها كى تبذل دماءها دفاعا عن الدستور.

ولكن ماذا يمكن للوفد أن يقدم للعمال فى صراعهم الاجتماعى الراهن؟

الإجابة: لا شىء. إنها خبرة ثلاث وزارات وفدية سابقة ١٩٢٤ – ١٩٢٨ – ١٩٣٠.

إن الوفد بقيادة تضم أمثال فتح الله بركات باشا وحمد الباسل باشا وهما يعتبران من أغنى أغنياء مصر لا يمكن أن يقدم شيئا للجماهير.. وفى ظل وضع كهذا يقع دور رئيسى وبارز على كاهل الشيوعيين المصريين، الذين يتعرض حزبهم لعداء كافة الحكومات المصرية أيا كانت.

إنه الحزب الشيوعى وحده الذى يستطيع أن يخلق الجيش الثورى للعمال، الذى سينهض بالثورة المصرية إلى مستوى جديد، مستوى النضال المباشر دفاعا عن مصالح الجماهير العاملة»[١٣].

ونلاحظ فقط النسيان الكامل لطبيعة المرحلة، وللقضية الوطنية..

وهكذا فقد أثمر هذا التصارع والشد والجذب بين موقف الرفاق المصريين وبين موقف الكومنترن، وذلك التردد المخيب للآمال دوما الذى وصم كل تحركات الوفد، وذلك الحقد

الذى كان يعتمل دوما فى نفوس قادة الوفد ضد حركة الطبقة العاملة.. بالإضافة إلى تسلط محمد عبدالعزيز عميل البوليس على مقدرات الحزب فى ذلك الحين.. أثمر كل ذلك موقفا متخبطا تجاه قضية من أعقد القضايا ومن أهمها على الإطلاق.

لكن هذا التخبط، وهذا الخطأ فى تفهم طبيعة الانتفاضة العمالية يجب ألا ينسيانا تلك اللمحات الذكية التى اتسمت بها بعض مواقف الرفاق المصريين تجاه الوفد والتى أشرنا إلى بعضها فى الصفحات السابقة..

وعلى أية حال فإن الموقف من البرجوازية المتوسطة ودمغها بأنها جزء من معسكر الثورة المضادة قد قاد بالضرورة إلى قضية أيديولوجية أخرى هى ما أسمى فى الأدبيات الماركسية فى هذه الفترة «بالكتلة الثورية».

فالجبهة والتحالف مع البرجوازيات مرفوضة، والبديل هو الكتبة الثورية من العمال والفلاحين».

وحتى الحزب الوطنى الذى أسماه الرفاق حزب «مثقفى البرجوازية الصغيرة» فإن التحالف معه لم يستمر إلا فترة وجيزة جدا ثم ما لبثوا أن دعوا إلى «تفجيره» من الداخل.

«إن هذا الحزب الراديكالى ظل دوما على الهامش بالنسبة لكل الأحداث السياسية المهمة، ولم يحاول أن يدرس أوضاع مصر دراسة جادة، ولم يقدم أية شعارات سياسية إيجابية، ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يفقد احترامه، وأن يسقط من حساب الكثيرين كحزب سياسى حقيقى اللهم إلا بضعة مئات يشكلون مجموع عضويته».

«لقد مثل قادة الحزب الوطنى لسنوات طويلة دور حماة الجماهير الكادحة والمدافعين عنها. لقد حاولت البرجوازية الصغرية الراديكالية عبثا أن تقنع الجماهير بأن ممثليها لم يبتعدوا عن خشبة المسرح. لكن الصراع الدائر بين صفوف أعضاء الحزب أنفسهم، لم يكشف فقط عن مدى الضعف السياسى لقادة الحزب وإنما كشف أيضا عن ضرورة البحث عن «مسارات» جديدة لحركة التحرر الوطنى.

وكلما تم الإسراع بعملية «تفجير» الحزب الوطنى من الداخل، كلما وجدت العناصر الشريفة داخل هذا الحزب بسرعة أكبر طريقها الصحيح نحو تأسيس الكتلة الوطنية الموحدة تحت قيادة حزب الطبقة العاملة»[١٤].

والآن يبقى تساؤل مهم، كيف حاول الحزب أن يقيم هذه «الكتلة الثورية من العمال والفلاحين»؟

الحقيقة أن الرفاق المصريين قد بدأوا هذه المحاولة بداية واقعية تتفق مع حقيقة قواهم ومع إمكانياتهم.

فإذا كان من الصعب انتزاع جماهير الفلاحين من نفوذ الوفد للعمال ضمن كتلة ثورية سرية (بطبيعة الحال) فلابد من إيجاد شكل من أشكال العلنية.

فأثناء انتخابات زيور حاول الرفاق تكوين نوع من التجمع العلنى باسم «لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين».

كانت مؤلفة كما تقول جريدة «الحساب»، «من بعض الغيورين الذين يهتمون بشأن الطبقة العاملة، وكانت قد عزمت على خوض المعركة الانتخابية بكل قواها إلا أنها ما باشرت إصدار منشورها الأول(***).. حتى بادرت الجهات الإدارية إلى ضبطه ومنع طبعه وانتشاره، والتحقيق مع المسئول عن اللجنة مما اضطر أعضاءها إلى السكوت حتى تظهر نتيجة التحقيق، وفى أثناء ذلك انتهت المعركة الانتخابية وتم للحكومة ما أرادت من الحيلولة دون انتشار حركة عمال كانت بلا ريب مفيدة لهم على أن أعضاء اللجنة لايزالون متمسكين بمبادئهم وعند حسن ظن الطبقة العاملة بهم ولكن الظروف ألجأتهم إلى استعداد تام للعودة إلى الجهاد»(١٥).

ثم عاود - الرفاق - المحاولة بشروعهم فى تأسيس حزب للعمال والفلاحين يكون واجهة علنية لتنظيمهم السرى.

وعلى صفحات مجلتهم «الحساب» بدأت الدعوة لتكوين حزب «العمال والفلاحين» وقد نجح مفكرو الحزب فى وضع صيغة مرنة - وطنية وثورية معا - لتكون أساسا فكريا للتجمع الجديد..

فإن الهدف الأساسى لتجمع - العمال والفلاحين - هو النضال لتحقيق الأمانى الوطنية.

«لقد تقهقرت الحركة الوطنية منذ أن خرجت من يد الطبقة العاملة من فلاحين وعمال وتسلمتها الطبقة الخاصة من الباشوات وأرباب الأموال والأراضى فإن هؤلاء قد انضموا إلى هذه الحركة بدافع من مصلحتهم الخاصة فبعضهم خاف نجاحها وانتقام أربابها منه وبعضهم رأى الاندفاع فيها جرا لمغنم وطمعا فى منصب، وبعضهم انساق مع التيار غصبا عنه، وبعضهم رأى الفرصة مناسبة لتسويد نفسه وجعل ذاته زعيما فاغتنم الفرصة وهلم جرا».

لقد كان من الضرورى تقديم مبرر - وطنى - لإعلان منبر جديد.

فالجماهير التى التفت حول الوفد خلال ثورة ١٩١٩ ظلت لفترة طويلة تنظر بعين الشك تجاه أى منبر جديد وتعتبره تجمعا «انقساميا».

كذلك فإن «القضية الوطنية» كانت تمثل - منطقيا - المنطلق الأول لأى تجمع وطنى وثورى..

ومن هنا فإن «الرفاق» ركزوا هجومهم على الأحزاب القديمة ومطالبتهم بتكوين تجمع جديد ليس على أساس طبقى فقط، وإنما فى المقام الأول على أساس وطنى.. معلنين على الملأ فشل احزاب البرجوازية فى نيل الاستقلال الوطنى، ومن ثم فلا بد من قيام تجمع جديد من أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاستقلال.

«فأحزاب مصر اليوم ليست سوى جماعات سياسية تعمل بدون غاية ولا مبدأ وتسير حسب الظروف وتقلب الأحوال فتكون تارة متطرفة وتارة معتدلة وتتحدد تارة مع العناصر الرجعية وتسكت حينا عن بعض مطالبها وتغالى أحيانا فى المطلب ولا هم لأفرادها إلا الحصول على الوظيفة والمنصب.

وأخيرا فإن «الطبقة العاملة من عمال وفلاحين لا يمكنها الانتظار إلى ما شاء الله حتى يقضى حزب على آخر وينتصر الوطنيون الحقيقيون على الوطنيين المزيفين.. ثم يتفرغ الظافرون للنظر فى شؤونها وإجابة مطالبها»[١٦].

غير أنه من المتعين أن نلتفت باهتمام بالغ إلى المحتوى الطبقى للتجمع الذى سعى «الرفاق» لتكوينه.

فبرغم أنه كان من ناحية المظهر التزاما بخط الكومنترن « لكتلة الثورية من العمال والفلاحين» إلا أنه فى الواقع، ومع تسليمه الكامل بضرورة قيادة الطبقة العاملة وكسب فقراء الفلاحين.. قد فتح أبوابه ليستقبل قوى طبقية أخرى غير العمال والفلاحين..

وهكذا وفى دراسة ممتعة ودقيقة قدمها «الرفاق» على صفحات مجلة الحساب حول التقسيمات الطبقية فى مصر.. أكدوا أن الحزب المنشود «يجب أن يتألف من مختلف طوائف عمال المدن ومن عمال الأرياف الذين يشتغلون فى الزراعة وتوابعها، على أن تكون هاتين الطبقتين طبقتى عمال المدن وعمال الأرياف هما أساس وأركان وجدران الحزب.

وبعد ذلك لا بأس من قبول بعض أبناء الطبقات الأخرى الذين لا يتنافى وجودهم مع الغاية التى أنشئ الحزب مع أجلها كما سنبين فيما بعد».

أما الطبقات الأخرى التى يمكن ضم بعض أبنائها فقد أشارت الدراسة إلى أنها تضم المثقفين، لأنه «معلوم أن فى مصر عددا كبيرا من الناشئة الجديدة المتعلمة لا تجد أمامها عملا إلا وظائف الحكومة لأن الصناعة غير متقدمة فى مصر.. ولأن المعامل التجارية بيد الأجانب الذين لا يستخدمون إلا أجانب مثلهم.. والحكومة لا يمكنها أن تستخدم كل تلميذ يغادر المدرسة كما لا يخفى. فهذه الناشئة المتعلمة متى كانت من أبناء غير الأغنياء تميل بطبيعتها وبدافع مصلحتها نحو الطبقة العاملة أكثر مما تميل نحو أية طبقة اخرى».

وهناك أيضا فقراء ومتوسطو الفلاحين الذين يعانون القهر والاستغلال بالرغم من أنهم يملكون أرضا..

«فكل أفراد الفلاحين الفقراء يندمجون طبعا فى حزب العمال وعدد كبير من طبقة الفلاحين المتوسطين.. مضطرا إلى الاندماج فيه أيضا وإن لم تكن مصلحته هى مصلحة طبقة العمال إلا أن عليه أن يختار بين الانحياز إلى كبار المالكين من أصحاب الأطيان وتعضيدهم والاندماج فى مسلكهم حتى يصبح عبدا لهم وذنبا لطبقتهم أو الانحياز إلى العمال فيربح هو من تعضيدهم إياه ولايكون مرؤوسا منهم على الأقل.

ثم أرباب الصناعات الصغيرة وأصحاب المهن الذين يعملون بأنفسهم دون استخدام سواهم فى اشغالهم».

ثم تمضي الدراسة لتقول «وهكذا نرى أن لدينا خمس طبقات من طبقات الأمة أو الأحرى خمس هيئات كبرى من هيئاتها يجب أن تندمج فى حزب العمال وهذه هى حسب قربها إليه: طبقة العمال فى المدن والأرياف، فطبقة الفلاحين الفقراء.. فطبقة الناشئة الجديدة.. فطبقة أصحاب الصناعات الصغيرة فطبقة الفلاحين المتوسطى الحال».

لكن الدراسة تعود فتؤكد مرة أخرى – وفى حرص بالغ «أن العمود الفقرى للحزب ودماغه المفكر وقلبه النابض يجب أن يكون من العمال وعلى قانون الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكين بعض أفراد الطبقات الأخرى التى تندمج فى الحزب من السيطرة عليه والتلاعب بمصالحه بل يجب أن يكون الحزب حزب عمال، للعمال ومن العمال، أما من ينضم إليه من أبناء الطبقات القريبة جدا من الطبقة العاملة فيجب أن يبقى دائما تابعا للحزب إلى حد ما ولكن على كل حال يجب أن تكون وتبقى السيطرة فى الحزب للعمال وحدهم»[١٧].

لكن كل هذا التشدد - الذى كان لا بد لإعلانه من أن يترك بصمة الانعزالية على الحركة لم يعجب البعض الذين راحوا يهاجمون فكرة «الحزب العلنى للعمال والفلاحين».

وفى نفس الوقت الذى كانت الرجعية المصرية تبذل أقصى جهدها لإجهاض المولود الجديد، والزج بدعاته إلى السجن وإغلاق صحيفتهم «الحساب».. فإن الانتقادات كانت تتصاعد من الناحية الأخرى.

ومن فوق منصة المؤتمر السادس للكومنترن وقف «حيدر» ليهاجم هذه المحاولة قائلا:

«حيدر» - لقد تكلم البعض حول تكوين حزب للعمال والفلاحين. وهذا خطأ وخيال محض. ليس فقط لما يحمله من خطر يهدد بتحويل الحزب الشيوعى نفسه إلى حزب للبرجوازية الصغيرة ثمنا لتحالفه مع الفلاحين، ولكن أيضا لأن تكوين مثل هذا الحزب مستحيل.

ذلك أنه لا يوجد مثل هذا الحزب الشيوعى، ولا هؤلاء الكوادر التى تستطيع التصدى للقيام بواجب تنظيم الفلاحين، غير أن قضية الفلاحين يجب أن تعالج بطريقة أخرى تماما، وأنا أعرض مثلا فكرة تكوين لجان الفلاحين، جمعيات تعاونية.. وغيرها من المؤسسات الاقتصادية مثل جمعيات المعونة المتبادلة.. إلخ. وهى تنظيمات يمكن أن تضم عمال الزراعة وفقراء الفلاحين والمزارعين ويتعين علينا أيها الرفاق أن نضع فى اعتبارنا أن الفلاح المصرى يعمل ستة أشهر فى السنة كأجير والستة أشهر الأخرى كمالك ومن ثم فإنه من الصعب وضع خط فاصل يميز العامل الزراعى عن المالك الصغير.

«فاسيلييف» (من فوق المنصة): كيف يمكن ضم مثل هذه العناصر إلى الحركة التعاونية؟

«حيدر»: إن لهم مصالح مادية مشتركة، فالفلاح يعانى من المضاربين ويعتمد على المرابين، وثمة حركة تعاونية قوية موجودة بالفعل بمساندة الحزب الوطنى ويتعين علينا أن نستخدم هذه الحركة كمنطلق لنشاطنا[١٨].

وهكذا ومن سياق الحديث يتضح أن النقاش كله كان يدور حول مصر وحول جهود الرفاق المصريين لتأسيس منبر علنى للعمال والفلاحين. فحيدر يشير إلى جهود الحزب الوطنى فى الحركة التعاونية المصرية.

وأخيرا..

وكمحصلة – طبيعية – لعوامل عديدة أهمها تزايد ضعف الحزب وتناقض كوادره تحت وطأة البوليس المستمرة، وكثيرا ما يؤدى ضعف الحزب وعزلته عن العمل الجماهيرى إلى سيادة شعارات يسارية ومتشددة داخل صفوفه..

وتزايد تردى الوفد والحزب الوطنى فى هاوية التهادن والانعزال عن المصالح الحقيقية للوطن والجماهير..

وتزايد ضغط – كوادر – الكومنترن على الحزب لكى يتخذ من حركة الجماهير موقفا «ثوريا» بمعنى السعى لتصفية نفوذ الوفد فيها وإقامة كتلة ثورية من العمال والفلاحين..

كمحصلة – طبيعية – لكل هذه العوامل أصدر الحزب برنامجه عام ١٩٣١ تحت عنوان «برنامج عمل للحزب الشيوعى المصرى»[١٩].

وبعد أن أورد البرنامج فى صفحاته الأولى وصفا بالغ الدقة والصدق للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المصرى، وعن الحالة المعيشية لجماهير العمال والفلاحين والظروف الصعبة التى يعيشون فيها. أورد تحليلا للأحزاب السياسية الموجودة فى مصر فى ذلك الحين.

«حزب الاتحاد هو حزب عملاء السراى، وكبار البيروقراطيين وكبار الإقطاعيين. وحزب الشعب هو حزب أصحاب الملايين من البرجوازية الكومبرادورية ومصدرى الأقطان. وحزب الأحرار الدستوريين هو حزب البرجوازيين من رجال الأعمال والمرابين ومضاربى البورصة.

وكل هذه الأحزاب تخفى خلف أسمائها ووعودها البراقة عبودية وخضوعا للإمبريالية الإنجليزية وللاتجاهات الأكثر رجعية.

وحزب الوفد هو حزب البرجوازيين والملاك الزراعيين من الوطنيين الإصلاحيين المعادين للثورة، وهو يضم فى صفوفه الرأسماليين الأغنياء والمحامين والمضاربين والملاك الزراعيين الليبراليين، الذين يلجأون من فرط خشيتهم من ثورة الشعب إلى التواطؤ إلى درجة كبيرة مع الذين يستعبدون مصر، طمعا فى أن يحصلوا فى المقابل على بعض الفتات.

إنه الحزب الذى يضلل جماهير الشعب، إنه حزب الخيانة الوطنية»[٢٠].

وإذا كانت احزاب الإقطاع وأصحاب الملايين من الكمبرادوريين وكبار البيروقراطيين والمرابين، عملاء السراى والاستعمار قد حظيت من البرنامج بستة أسطر فقط، فإن حزب الوفد قد حظى بعشرات من الأسطر تهاجمه وتتهمه وتدينه.

وليس هذا غريبا وفقا لنظرية ستالين حول ما أسمى «باتجاه الضربة الرئيسية» التى يجب أن تسدد لعزل نفوذ البرجوازية عن جماهير العمال والفلاحين وهكذا يمضى البرنامج ليصم الوفد بأنه «يساوم للحصول على مكاسب تافهة وغير مهمة من الإمبرياليين ومن عصابة فؤاد فى مقابل تعزيز واقع الرأسماليين والإقطاعيين على حساب العمال والفلاحين.

إنه يخوض المعركة ضد فؤاد وضد صدقى باشا، لكنه فى واقع الأمر يحاول امتطاء حركة التحرر الوطنى التى تخوضها جماهير الشعب بهدف تمييع النضال الثورى، ومن أجل المساومة لحساب البرجوازية والإقطاع.

ان حزب الوفد لا يعارض فحسب أى نضال جاد من أجل استقلال مصر ومن أجل الإطاحة بالنظام الملكى ومصادرة أملاك الإقطاعيين ومن أجل يوم عمل من ثمانى ساعات بل إنه يسعى إلى امتطاء حركة الجماهير وقيادتها مستهدفا إضعاف هذه الحركة وسحقها ثم خيانتها وبيعها.

إن كل تاريخ الوفد منذ ١٩١٩ هو تاريخ صراعه ضد العمال الثوريين والفلاحين وضد كل الكادحين بوجه عام.

وعندما كان الوفد متوليا زمام السلطة قام بتدمير كل المنظمات الطبقية للعمال وكل المنظمات الثورية.

كما أن الوفد قد عقد صفقة مع الإمبريالية الإنجليزية فى عام ١٩٣٠ باع فيها حرية مصر واستقلالها، غير أن هذه الصفقة لم توقع بسبب الاختلاف على بعض المسائل الشكلية الخاصة بالوزارة.

ولقد كان الوفد على أتم استعداد لعقد أية صفقة مع الإمبريالية بشرط أن تتخذ طابعا دستوريا.

إنه حزب معاد للجماهير، وينتهج سياسة معادية للثورة، حزب أعلن على لسان النحاس باشا استعداده لخوض الحرب ضد الاتحاد السوفييتى لحساب المصالح الإمبريالية البريطانية. أن شعارات الوفد تساعد الإمبريالية والسراى على ضرب وسحق حركة الجماهير. ولقد تظاهر الوفد لسنوات طويلة بأنه يناضل من أجل ستقلال مصر محاولا أن يخدع الجماهير بالوعود. وعندما لجأت الإمبريالية الإنجليزية إلى فؤاد لتستخدمه ستارا

لحكمها، تعالت صيحات الوفد بشن النضال من أجل «الحرية الدستورية» لكنه لم يجرؤ على دعوة الجماهير للنضال للإطاحة بالملكية الفاسدة. وعاد الوفد من جديد ليتظاهر بالعداء للإمبريالية الإنجليزية. لكنه فى واقع الأمر كان يسعى جنبا إلى جنب مع الإمبرياليين وعملائهم من المصريين للبحث عن مخرج من الأزمة من خلال مزيد من القهر والعبودية لجماهير الشعب. لكنه حرص فى نفس الوقت على إخفاء هذا الموقف خلف شعارات «معارضة»[٢١].

وفى موضع آخر من «البرنامج» نرى هجوما أشد قسوة «فالرأسماليين المصريين والملاك الليبراليين» يريدون نوعا محددا من الحرية لمصر بحيث لايمكن لأى عامل أو فلاح أن يستمتع بحريته فى ظلها، إنهم يريدون نوعا محددا من «الاستقلال» لمصر بحيث يمكنهم أن يلعبوا فى ظله دور العملاء الذين يقهرون الجماهير الكادحة لحساب الإمبرياليين.

والحقيقة، أنه لا يمكن أن يكون هناك نضال ثورى ناجح وقادر على الانتصار بغير انفصاله انفصالا تاما عن حزب الوفد، بل وبدون شن نضال عنيف وحاد ضده.

إن بين معسكر الوفد ومعسكر الشعب (معسكر النضال ضد الإمبريالية ومن أجل الثورة الزراعية الفلاحية) هوة سحيقة لا يمكن اجتيازها.

ولكى يمكن الإطاحة بالقهر الإمبريالى فإنه يتعين أولا أن ندمر نفوذ الوفد وسط الجماهير، نفوذه وسط العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة».

وإذا كان البرنامج يرى أن الهوة التى بين الوفد وبين الجماهير هوة سحيقة ولا يمكن اجتيازها فإنه يؤكد فى موضع آخر «إن بين معسكر الوفد وبين معسكر الإمبريالية وعميلتها السراى توجد روابط قوية»[٢٢].

ولسنا بطبيعة الحال بحاجة إلى تأكيد مدى «انعزالية» هذا البرنامج وبعده عن الواقع فى تحليل الوفد وطبيعة مواقفه.

لقد قاوم - كوادر الحزب - لعدة سنوات الموقف الستالينى الذى تبناه الكومنترن، لكنهم ما لبثوا أن استسلموا تماما فى النهاية، ولقد كان استسلامهم تعبيرا عن الضعف التنظيمى والفكرى الذى أصاب الحزب على إثر الضربات البوليسية المتتالية، كما أنه كان ايذانا بمزيد من الضعف التنظيمى والفكرى. ولعل خير دليل على أن هذا البرنامج قد

وضع تحت تأثير كوادر الكومنترن أن مقال أفيجدور السابق الإشارة إليه يطالب «بحل ثورى للأزمة» فإذا بالبرنامج يعنون فصلا كاملا فيه «النضال من أجل حل ثورى للأزمة»[٢٣].

وبطبيعة الحال فقد انعكس ذلك كله على مطالب البرنامج..

«على البروليتاريا المصرية والكادحين والفلاحين المستغلين ألا ينتظروا أن يمن عليهم أحد بمطالبهم، ذلك أن برنامجهم هو برنامج ثورة، ثورة تتطلب تضحيات ونكران ذات لكنها توصل حتما إلى الهدف المنشود..

إن مطالبنا الثورية الأساسية هى:

١- طرد الإمبرياليين الإنجليز وقواتهم البرية والبحرية والجوية من مصر والسودان.

٢- الاستقلال الاقتصادى والسياسى التام وغير المشروط لمصر والسودان. مع الضمان الكامل لحق السودان فى تقرير مصيره.[×] - النضال من أجل تحرير كل الشعوب العربية من القهر الاستعمارى ومن أجل وحدة عربية شاملة تنتظم فيها كل الشعوب العربية الحرة[××] - إلغاء كل الامتيازات التى يستمتع بها الإمبرياليون - الإطاحة بالنظام الملكى وهدم الجهاز البيروقراطى العتيق الذى يضم العمد ومجالس المديريات الزائفة والبوليس - الشعب هو الذى يختار القضاة - **تسليح الكادحين** حتى يستطيعوا الدفاع عن استقلالهم الوطنى ومكتسباتهم العمالية - **حرية الصحافة للعمال** - فصل الدين عن الدولة وفصل القضاء عن الدين.

(ولعل أوضح دليل على انعزالية هذا البرنامج هو تصميمه على أن القضية الوطنية لا تهم إلا العمال وحدهم.. فالعمال يتسحلون للدفاع عن استقلالهم الوطنى، وحتى حرية الصحافة لا تهم إلا العمال فهو لا يطالب بحرية الصحافة عموما.. وإنما حرية الصحافة للعمال، مع ملاحظة أن هذا البرنامج قد وضع فى عام ١٩٣١ فى ظل إرهاب صدقى الذى انصب على المصريين جميعا وفى ظل مصادرة كل الصحف غير الموالية للحكومة بغير حساب).

٣- حكومة سوفييتية للعمال والفلاحين. نظام سوفييتى.

٤- مصادرة جميع الأراضى والماشية والأدوات الزراعية المملوكة للإمبرياليين وللملاك الأرض والمرابين والملك وكبار البيروقراطيين والاوقاف (بما فيها الأوقاف الأهلية) بدون أى

مقابل. وتوزيعها على عمال الزراعة وعلى فقراء الفلاحين ومتوسطيهم الذين لا يستغلون عمل الآخرين.

٥- تأميم جميع مشاريع الرى وما يتعلق بها من آلات مثل (المضخات.. إلخ) وضمان رى أراضى فقراء الفلاحين مجانا.

٦- مصادرة وتأميم كل البنوك والمؤسسات الصناعية المملوكة للإمبرياليين. وإلغاء كافة الديون الخاصة بالدولة والامبرياليين.

(ويلاحظ هنا أن البرنامج يتخذ موقفا صحيحا من الرأسمال الوطنى فهو يطالب بتأميم بنوك ومؤسسات وإلغاء ديون الإمبرياليين وحدهم).

٧- إلغاء كافة الديون الربوية والديون المبنية على الغش - وإسقاط كافة الديون عن كاهل الفلاحين - وإلغاء الرسوم والضرائب التى تثقل كاهل الكادحين. فرض ضرائب تصاعدية على دخول الأغنياء.

٨- حرية العمال والكادحين فى تأسيس منظماتهم، وحرية العمل لجميع هذه المنظمات - يوم عمل ذى ثمانى ساعات - الأجر المتساوى للعمل المتساوى بغض النظر عن القومية أو الجنس - وضع حد أدنى للأجور - يوم عمل من أربع ساعات للأحداث من سن ١٤ إلى ١٦ سنة، وست ساعات من سن ١٦ إلى ١٨ سنة - منع تشغيل النساء والأطفال ليلا - تأمين اجتماعى ضد المرض والشيخوخة والبطالة والعجز - تطوير جذرى للإسكان - تنظيم وقاية العمال من إصابات العمل.

٩- التعليم العام المجانى للعمال والفلاحين.

(ويلاحظ أن المطالبة كان يجب أن تمتد لتشمل جماهير الشعب كله وليس مجرد العمال والفلاحين الذين لم يكونوا محرومين وحدهم من التعليم).

١٠- التحالف مع الاتحاد السوفييتى ومع الحركة الثورية للبروليتاريا العالمية، ومع نضال كادحى المستعمرات[٢٤].

(ويلاحظ أن البرنامج لم يدع إلى التحالف مع حركة التحرر الوطنى فى المستعمرات وإنما فقط مع نضال كادحى المستعمرات).

وهكذا وبالرغم من اللمحات الذكية فى البرنامج، وبالرغم من تعبيره تعبيرا قاطعا عن كثير من المطالب العمالية والفلاحية التحتية، بحيث يعتبر إدراجها فى البرامج كافيا بذاته

على التدليل على التصاق الحزب بالمطالب الفعلية لجماهير العمال والفلاحين، إلا أن الموقف الأيديولوجى العام من البرجوازية الوطنية والتشدد العنيف تجاهها والتصميم على أن المجال الوحيد لأى عمل ثورى فى مصر لا يمكن أن يوجد إلا فى إطار «الكتلة الثورية للعمال والفلاحين» قد دفع البرنامج وحركة الحزب ككل إلى منعطف انعزالى.

إن الكلمات الحماسية مثل «إن العمال المصريين يتمسكون بحزم بقضيتهم قضية العمل.. قضية الأممية الشيوعية، أن عمال بورسعيد والسويس والقاهرة والإسكندرية أن عمال بولاق الذين أقاموا المتاريس فى الشوارع عام ١٩٣١ آن الآلاف المؤلفة من البروليتاريين من عمال الزراعة والفلاحين الفقراء ذوى الوعى الطبقى أن هذه القوى لا يمكنها مطلقا أن تفشل فى بناء حزبها الثورى البروليتارى المقاتل، حزبها الذى يقود نضالها من أجل ثورة مناهضة للإمبريالية والاقطاع من أجل نظام سوفييتى لحكم العمال والفلاحين، ذلك النظام الذى سيضع الأساس لتعزيز قوى الثورة وتعزيز النضال من أجل إقامة ديكتاتورية البروليتاريا والاشتراكية»[٢٥]. إن مثل هذه الكلمات وكل هذا الحماس الدافق، لم يكن ليغير من حقيقة الأمر شيئا، وهى أن مصر وهى بلد شبه مستعمر كانت ظروفها الموضوعية تفرض نوعا آخر من المجابهة لقضية البرجوازية الوطنية.

وإن حزب الوفد – بالذات – وبغض النظر عن كل أخطائه وبغض النظر عن كل تحفظاته ضد العمل الثورى الجاد، وعن كل حملاته ضد الاشتراكية. كان من المتعين النظر إليه نظرة أخرى..

وعلى أية حال..

فإن صفحات هذا الفصل لم تكن محاولة لاستقصاء أهم المواقف الفكرية للرفاق المصريين فى فترة صعبة ومعقدة.

وليست محاولة لإخضاع هذه المواقف للنقد والتحليل، بقدر ما هى محاولة لوضع هذه المشكلات الأيديولوجية فى اطارها البالغ التعقيد والبالغ الصعوبة.

لعل ذلك يمكننا من أن ندرك حقيقة المشاكل والصعوبات التى أحاطت بكوادر الحزب وهم يحاولون – برغم كل شىء – أن يؤسسوا وسط المناخ الفكرى المصرى خطا واضح المعالم للاشتراكية العلمية.

الهوامش

(١) الحساب ١٠/٤/١٩٢٥.

(٢) Joseph Stalin - Marxism and the National and Colonial question - Lon - don, 1947 - pp.216.

(٣) M.S Agwani - COmmunism in the Arab East Asia Publishing House, Bombay - pp 6.

(٤) Ibid - pp.7: Revolutionary Movement in the Colonies and Semi - Colonies: Thesis Adopted by the Six - th Congress of the Communist internaitonal, 1928 (Bomby, 1948) pp.33-5.

(٥) International press Correspondence - The Discussion on Comarade Bukharin,s Be- port - No :72 - 17/10/1928 - pp7311.

(٦) ريفولسيونى فوستوك. (العدد ١ عام ١٩٣٢) مقال - أ.شامى بعنوان مصر بعد الانقلاب ص ٢٧٦ (مترجم عن النص العربى).

(٧) أ. الجبالى. مقال «بلا مخرج» - مجلة ريفولوسيونى فوستوك المرجع السابق - راجع النص كاملا بالملاحق.

(٨) أ.شامى. المقال السابق الإشارة إليه.

(٩) أ. الجبالى - مقال «الحزب الذى يثرثر كثيرا» - مجلة ريفولوسيونى فوستوك - العدد ٢ - عام ١٩٣٢ ص٢٨٨ (مترجم عن النص الروسى). راجع النص الكامل للمقال بالملاحق.

(١٠) أ.شامى. المقال السابق.

(١١) History of the Communist party of the Soviet - Second' revisee edition - Moscw - pp.88.

(١٢) أنفيجدور - مقال الأزمة والمد الثورى فى مصر - العدد ٢ لعام ١٩٣٢ من مجلة ريفولوسيونى فوستوك ص١٠٢ (مترجم عن الاصل الروسى) راجع الملاحق.

(١٣) the Labour Monthly - vol 12 No12 - December 1930.

the New wave of Revlts in Egypt. J.B. (Jeruslam).

(١٤) أ. الجبالى. مقال «الحزب الذى يثرثر كثيرا» - المرجع السابق.

(*) راجع النص الكامل فى الملاحق.

(١٥) الحساب ١/٥/١٩٢٥.

(١٦) الحساب ٨/٥/١٩٢٥.

(١٧) الحساب ١٨/٥/١٩٢٥.

(١٨) International press Correstpondence - No: 72. pp.1311.

(١٩) نشر هذا البرنامج كاملا بالانجليزية فى كتاب

Ivor Spector - The Soviet Union and The Musim World 1917 - 1958 - University of Washington Press Seattle, 1959 - pp: 141-156.

نقلا عن

Documents of The Programe of The Communist Parties of The East - Edited By: L. Madyar - P.MIF - M.Orakhelashvili - G.Safarov - Party Publication - Moscow - 1934. Revolyustionnyi Vostok.

وقد أورد «سبكتور» فى نهاية البرنامج أنه نشر فى مجلة (الشرق الثورى) عدد ٢،١ لعام ١٩٣٢ – لكنه بالبحث فى هذين العددين لم يعثر على البرنامج.

وبالرغم من غرابة هذا الأمر فإنه لا يقلل من قيمة هذه الوثيقة. ذلك أن التمعن فى دراستها يعطى انطباعا كافيا بصحتها. وربما اخطأ «سبتكور» فى إيراد رقم العدد أو تاريخه.

وقد نشر إلياس مرقص «الأممية الشيوعية والثورة العربية» – دار الحقيقة بيروت، ترجمة رديئة وغير دقيقة للنص الكامل للبرنامج.

(٢٠) Spector - pp: 144.

(٢١) Ibid - pp: 145.

(٢٢) Ibid - pp: 147.

(٢٣) Ibid - pp: 146.

(**) عندما رفعت ح. م (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) فى مطلع الأربعينيات شعار الكفاح المشترك مع الشعب السودانى مع ضمان حقه فى تقرير مصيره فى مواجهة شعار البرجوازية «تاج واحد، ملك واحد، نيل واحد» تصور الكثيرون أنها كانت البادئة برفع هذا الشعار التقدمى ولعل هذا يوضح كيف أن التراث الفكرى والنضال لرفاق الثلاثينيات كان مطموسا إلى حد كبير.

(***) إنها المرة الأولى التى يظهر فيها شعار للوحدة الشاملة بين الشعوب العربية الحرة فى أية وثيقة سياسية لأى حزب مصرى.

(٢٤) Ibid - pp: 151.

(٢٥) Ibid - pp: 144.